

الخطبة الإذاعية (68) : خ1 - زلزال آسيا ، خ2 - رسالة تعزية.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 07-01-2005

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي كتب البلاء على عباده المؤمنين، أحمده سبحانه إذ جعل أشد الناس بلاء الأنبياء والمرسلين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وعد الصابرين أفضل ما أعده لعباده المتقين، وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، قدوة الصابرين، وإمام الشاكرين، اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأعلام الأبرار، وا لأئمة المهديين الأطهار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام : في زحمة الأحداث وتسارع المتغيرات، وفي خضم تداعيات النوازل والمستجدات، وكثرة الأطروحات والتحليلات يلحظ المتأمل الغيور غياباً أو تخريباً للرؤية الشرعية، والنظر في فقه السنن الكونية، حتى حصل من جرّاء ذلك ضلال أفهام، وتشويش وحيرة، عند كثير من أهل الإسلام .

موضوع الخطبة اليوم: الماء نعمة، ونقمة، يريد الله أن يكون نعمة فيكون نعمة، ويريد الله أن يكون نقمة فيكون نقمة .

من النعم العظيمة التي من الله تعالى بها على الإنسان نعمة الماء العذب، فالماء العذب أفضل شراب، وأعظم صدقة، ورحمة الله لخلقه، وحيث وجد الماء وجدت الحياة .

قال تعالى: (وجعلنا من الماء كل شيء حي)

إنّ الحياة على وجه الأرض ؛ حياة الإنسان، وحياة الحيوان، وحياة النبات، قوامها الماء، فالماء هو الوسيط الوحيد الذي يحمل الأملاح، والمواد الغذائية منحلّة فيه إلى الكائن الحيّ، ولولا الماء لمّا كانت حياة على وجه الأرض.

لذلك يتفضل الله به علينا، فيهطل في كلّ ثانية من السماء إلى الأرض على مستوى الكرة الأرضية ستة عشر مليون طنّ من الماء.

ويشكل الماء سبعين بالمئة من مساحة اليابسة، ويشكل الماء سبعين بالمئة من وزن الإنسان، كما أن للماء دوراً كبيراً في سير التفاعلات الكيميائية داخل أجسام النباتات، والحيوانات، وكذلك الإنسان، وذلك من أجل الحصول على الطاقة .

وللماء دور في تغيير سطح الأرض من القوام الصخري إلى القوام الترابي من خلال عمليات الحث .
وقد ذكر الله تعالى الماء في القرآن الكريم منكرأ " ماء " ثلاثاً وثلاثين مرة و ذكره معرفاً " الماء " ست عشرة مرة .

وذكر الله تعالى أن إنزاله الماء من السماء و إحياءه الأرض بعد موتها هو دليل و آية على وجود الله قال تعالى:

(**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**)

{164} سورة البقرة

وينبغي أن يكون موقف المؤمن من الماء كما ورد في الحديث القدسي الصحيح :
حيث يقول الله عز وجل:

((أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ؛ وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ))

إن من آيات الله الدالة على عظمته هذه الملوحة التي نجدُها في البحار، حيث يقول العلماء : إن في كل لتر واحدٍ من ماء البحر سبعة وعشرين غراماً من الم لِح، وإنَّ العالمَ بأسره يستهلكُ في السنة ما يزيدُ على خمسين مليونَ طنٍّ من ملح البحر، وإنَّ نسبة الملح في مياه البحر تعادلُ ثلاثةً ونصفاً بالمئة من مجموع مياه البحر، بل إنَّ في الكيلو متر المكعب، (وهو مكعبٌ ضلُعه كيلو متر) من مياه البحر أربعةً وثلاثين مليونَ طنٍّ من الملح.

لو استخرجَ ملحُ البحار و جُفِّفَ، و وُضِعَ على اليابسة - على قاراتها الخمس - ولم نغادرُ مكاناً إلا قَرَشْنَا عليه هذا الملح الذي استخرَجناه من مياه البحار، لبلُغَ ارتفاعُ الملح المجفَّفِ على سطح اليابسة كلها مئةً وثلاثةً وخمسين متراً.

ووصف الله الماء على أنه مبارك أي أنه كثير الخير، قال الله تعالى:

(وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جِبَاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ)

{9} سورة ق

وأمتن الله على المؤمنين أن أنزل عليهم الماء الذي فيه قوام حياتهم قال تعالى:
(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ، يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ
وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)

11. سورة النح

و ذكر الله إحدى فوائد الماء الكبرى وهي التطهير قال تعالى:
(وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ)
و أمرنا الله بالوضوء بالماء عند كل صلاة، والاعتسال بالماء عند كل جنابة .
قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا)

وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاعتقاد في استعمال الماء و عدم الإسراف فيه فقد مرَّ
بسعدٍ رضي الله عنه وهو يتوضأ فقالَ

((مَا هَذَا السَّرْفُ يَا سَعْدُ فَقَالَ أَفِي التَّوَضُّعِ إِسْرَافٌ قَالَ نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ))

ابن ماجة 419

عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بنهر ومعه قعب أي إناء فتوضأ وفضلت فضلة
فردها في النهر وقال:

((يبلغه الله قوما ينفعهم به))

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن التصدق بسقي الماء أفضل الصدقة، فعن سعد
رضي الله عنه أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

((أي الصدقة أعجب إليك قال الماء))

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس شركاء في ثلاثة: الماء والكأ والنار .
وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تلويثه، حيث نهى عن البول في الماء الراكد.
وقد نهى عن التعذيب بالحرمان من الماء.

وقد يكون تقدير الماء على الناس عقاباً لهم، قال تعالى:

(وَالْوَالِدَاتُ يُرْجَوْنَ لِحَبْلِ الرَّحَمَةِ أَهْلًا لَكُنَّ عَذَابًا غَلِيظًا)
عَذَابًا صَعَدًا)

وقال تعالى أيضاً:

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْفُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

ومما يؤكد أن تقدير الأمطار لا يمكن أن يكون تقدير عجز كتقدير البشر، ولكنه تقدير تربية وتأديب، فقد ورد عن وكالة الفضاء الأوروبية أن مرصد الفضاء الأوربي العامل بالأشعة تحت الحمراء رصد غيمة من البخار في الفضاء الخارجي، يمكن لها أن تملأ محيطات الأرض ستين مرة في اليوم الواحد بالمياه العذبة وهذا مصداق قول الله تعالى:

(وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ)

وأما معنى التقدير التربوي أو التأديبي ففي قوله سبحانه:

(وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ)

ومن خصائص الماء التي تدل على علم الله ورحمته بالإنسان:

- 1 - إن البناء الذري الفريد للماء يجعل جزيئاته مترابطة بعضها ببعض في شبكة فراغية متماسكة، و لولا هذا لاستحال جود الماء على شكل سائل وصلب على سطح الأرض و لاستحالت الحياة.
- 2 - من المعلوم أن درجة غليان الماء مرتفعة و ذلك لقوة ترابط ذراته لذلك فهو يمتص قدرة حرارية كبيرة لكي يتبخر حيث أن كل جرام من الماء السائل يحتاج إلى خمس نة وأربعين حريرة، ليتحول إلى بخار، وهذه الخاصية تعطي الماء دوراً فريداً في نقل القدرة من مكان لآخر، فالماء الذي يتبخر من المحيطات تسوقه الرياح مئات بل وبضع آلاف من الكيلومترات إلى أماكن باردة فعند تبرد البخار و تحببه و تساقطه على شكل قطرات مطر ينشر معه الطاقة التي أمتصها في أثناء تبخره فيساهم في رفع درجة الحرارة في تلك المناطق و تلطيف حرارة الجو والجدير بالذكر أنه يتبخر كل عام خمسمئة وعشرون ألف كيلو متر مكعب من الماء.
- 3 - و هناك خاصية فريدة أخرى للماء تتمثل في أنه كأى عنصر يتمدد بالحرارة، وينكمش بالبرودة، لكنه في الدرجة أربعة فوق الصفر تنعكس هذه القاعدة المطردة في كل العناصر في الأرض، فيتمدد بالتبريد بدل أن ينكمش فتزداد كثافته في أثناء تجمده فيطفوا على سطح الماء، وقد لا يصدق الإنسان أن حياة الكائنات على سطح الأرض متوقفة على هذا الاستثناء من قانون الانكماش بالتبريد، ولولا هذا الاستثناء لتجمدت البحار، وانعدم التبخر، وتوقفت الأمطار، ويبس النبات، وهلك الحيوان، وانتهت حياة الإنسان .

4 - الماء يرتفع بنفسه في الأوعية الشعرية في الأشجار و تعرف هذه الخاصة بالخاصة الشعرية فيحمل الماء من خلالها الغذاء إلى الخلايا النب اتية حتى ارتفاعات عالية، كما أنها هي المسؤولة عن

تحريك الماء في المسامات و الفراغات و الأقبية و الشقوق الدقيقة في التربة و الصخور نحو الأعلى مم
يسهل على جذور النباتات الحصول على الماء في المناطق الجافة و الصحراوية.
5 - يعد الماء من أقوى العناصر المذيبة، و هذه الخاصة أساسية في كون الماء الهطهر الأول، و المذيب
في الأرض .

هذا عن أن الماء نعمة، فماذا عن أن الماء نقمة:

أفاق العالم يوم الأحد الواقع في السادس و العشرين من الشهر الأخير من العام المنصرم على حدث لم
يسبق أن وقع مثله منذ ثلاثمئة عام تقريباً، و هو زلزال آسيا، فالأضرار التي نتجت عنه تفوق حد
الخيال، و هذا الزلزال يعد واحداً من أكبر التحولات في القشرة الأرضية، فهناك القاعدة الصخرية
الصلبة للأرض التي ترتكز عليها القارات و المحيطات، هذه القاعدة الصخرية للأرض فيها صدوع
قسمتها إلى إثني عشر لوحاً، قال تعالى:

(و الأرض ذات الصدع)

فقد تصادم اللوح الصخري الذي ترتكز عليه قارة آسيا، مع اللوح الصخري الذي ترتكز عليه قارة
أستراليا، و هذا التصادم أدى إلى تزحزح الألواح الصخرية التي هي القاعدة الصلبة للكرة الأرضية،
فاختفت جزر، و ظهرت جزر، و انشطرت جزر، تحركت جزيرة سومطرة، و مساحتها أكبر من مساحة
سورية و هي أقرب النقاط إلى موقع الزلزال، و أكثرها تأثراً به، تحركت عن موقعها تجاه الجنوب بنحو
ثلاثين كيلومتراً، و قصر اليوم واحد من مليون جزء من الثانية، و اهتزت الأرض حول محورها، و قد
قدرت قوة هذا الزلزال التفجيرية بمليون قنبلة ذرية، و ريخ تر عالم الزلازل المعروف درج مقياسه تسع
درجات، فكانت قوة هذا الزلزال بمقياس ريختر تسع درجات وثمانية أعشار الدرجة و هي فوق النهاية
العظمى لمقياسه، أما الأمواج المد البحري الذي نتج عن هذا الزلزال، فقد سارت من المحيط الهادي
إلى المحيط الهندي بسرعة تقترب من ألف كيلو متر في الساعة، و قد قطعت ألفاً و ستمئة كيلومتر في
ساعة و نيف و تناقصت سرعتها إلى سبعين كيلو متراً عند الشواطئ، و كأن هذا المد خرج من أعماق
المحيط الهادي مستهدفاً شواطئ المحيط الهندي، لحكمة أرادها الله لا تخفى عن العقلاء، و لو أنه انطلق
قريباً من اليابسة لهلك من بني البشر الملايين المملينة، و هذا من لطف الله جل جلاله، و قد بلغ ارتفاع
أمواج هذا المد من عشرة أمتار إلى أربعين متراً بحيث أن هذه الأمواج قادرة على أن تقتلع صخرة
ترن عشرين طناً و تحملها لمسافة طويلة، و هي قادرة على إغراق ناقلات النفط و هي من البواخر
العملاقة، و تحطيم القطارات و سكك الحديد، و تحطيم السفن و نقلها و تجميعها في اليابسة، و بعضها
استقرت على أسطح المنازل، و أمواج هذا المد قادرة على اقتلاع الجسور، و الإطاحة بالمنشآت،
و تدمير المدن بأكملها، و الجدير بالذكر أن سواحل هذه البلاد التي تضررت بهذا الزلزال من أجمل

السواحل في العالم، فالطبيعة هناك ساحرة، والجو دافئ في الشتاء، وصالح للسباحة والتعري، وجميع المتع الحسية التي تحرمها التشريعات السماوية والأرضية متوافرة هناك، والمنشآت السياحية هناك من فئة العشر نجوم التي تليق بصفوة أغنياء العالم، وقد رأى نزلاء هذه المنشآت هذه النجوم العشر ظهراً في أثناء الزلزال .
قال تعالى:

(حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرٌ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فُجِعْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

ويتوقع أن يصل عدد القتلى من البشر الذين تكتشف جثثهم تباعاً إلى منتي ألف جثة، وبعضهم يتوقع أن يصل العدد إلى ثلاثمئة ألف، بل إن هناك من يتوقع أن يصل العدد إلى خمسمئة ألف، عدا الذين يحتاجون إلى إسعاف أولي خلال أيام معدودة، و عدا خمسة الملايين مشرد الذين دمر الزلزال مساكنهم، والذين لا يجدون الماء الصالح للشرب، ولا الغذاء، ولا الدواء، ولا المأوى . ويتوقع أن يموت مثل هذا العدد لا سمح الله ولا قدر عن طريق الأوبئة الناتجة عن تفسخ الجثث .
وقد قدرت الخسائر المادية الأولية بخمسين مليار دولار .

ولا يمكن أن تستعيد هذه البلاد الذي دمرها الزلزال نشاطها السياحي قبل عشر سنوات قادمة هذا الإله العظيم يعصى، ألا يخطب وده، ألا ترجى جنته، ألا تتقى ناره .
لكن الذي يلفت النظر في هذا الزلزال أنه لم يعثر حتى الآن أي بعد مضي إثني عشر يوماً على بدء الزلزال، لم يعثر على جثة حيوان بري واحد على الشواطئ التي تضررت بالزلزال، وقد نقلت هذا الخبر إذاعة عرفت بالدقة العلمية، ويؤكد ذلك أن أهل قرية من قرى السواحل التي تضررت بالزلزال نجوا بأكملهم من الهلاك بسبب أنهم رأوا البهائم تنطلق مذعورة قبل وقوع الزلزال فقلدوها فنجو .
ما تعليل ذلك؟ يقول علماء الأحياء : إن الله جل وعلا زود معظم البهائم بحاسة سادسة تشعرهم بالزلزال قبل وقوعه بوقت كاف للنجاة منه، هذا من الناحية الفيزيولوجية للحيوان، أما من الناحية الإيمانية فالحيوان غير مكلف كالإنسان، ولا علاقة له بالفساد في الأرض، فهو لا يقيم حياته على قتل الآخرين، ولا يبني غناه على إفقار الآخرين، ولا يبني عزه على إذلال الآخرين، والحيوانات القوية تأكل حتى تشبع، فإذا شبعت تسمح للآخرين أن يأكلوا، فهي لا تسعى لإفقار الآخرين، ولا لإضلالهم، ولا لإفسادهم، ولا لإذلالهم، ولا لإبادتهم، ففي بلاد قوية تمت الهجرة إليها ويتحدث أولو الأمر فيها كثيراً عن الحرية، فقد تم إبادة الملايين من سكانها الأصليين قبل منتي عام، ولو كان للحيوانات هيئة أمم لما أكلت أممهم القوية حقوق أممهم الضعيفة، ولو كان للحيوانات مجلس أمن لما فرض الحصار

الاقتصادي على بعض الشعوب المقهورة حتى يموت الناس من الجوع، إرضاء لمن يملك حق النقص في المجلس، والحيوانات لا تعرف التطهير العرقي، قتل كعقاص الغنم، لا يدري القائل لم يقتل، ولا المقتول فيم قتل، وفي مجتمع الحيوان لا تجد حيواناً يذوب قلبه في جوفه مما يرى ولا يستطيع أن يغير، إن تكلم قتلوه، وإن سكت استباحوه، ولا تعرف هذه الحيوانات تجارة الرقيق الأبيض، ففي كل عام تقتنص سبعمئة ألف امرأة من البلاد النائمة لتعمل في الدعارة في البلاد المتقدمة، إرضاءً لنزوات أغنيائها، والحيوانات لا تعرف الشذوذ الجنسي ففي بلاد يقصدها أغنياء العالم للاستجمام يهين لهم في هذه المنتجات ثمانمئة ألف طفل للفجور بهم، وفي بلد يعتمد في الدرجة الأولى على تصدير الأغنام إلى شتى بقاع الأرض، تم إعدام عشرين مليون رأس من الغنم رمياً بالرصاص، وتم دفنها ؛ حفاظاً على السعر المرتفع الذي يحقق لتجار الأغنام هناك ربحاً فلكياً، والحيوانات لا تعرف إتلاف كميات من الزبدة يصل حجمها إلى حجم أكبر أهرامات مصر حفاظاً على السعر المرتفع، والحيوانات لا تعرف إتلاف المحاصيل الزراعية حفاظاً على أسعارها المرتفعة، وتسميمها خوفاً من أن يأكلها الفقراء مجاناً فيقل الطلب على شرائها، بينما هناك شعوب فتكت فيها المجاعات، وهم في أمس الحاجة إلى اللحوم والألبان والمحاصيل، والحيوانات القوية لا ترسل نفاياتها الذرية إلى الحيوانات الضعيفة حتى تسبب لها الأمراض السرطانية بشكل وبائي لآلاف السنين، والحيوانات التي تصنع الأدوية لا تجربها على حيوانات من جنسها فتندراً بها الخطر عن نفسها

قال تعالى:

(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

يقول الإمام علي رضي الله عنه ركب الملك من عقل بلا شهوة، وركب الحيوان من شهوة بلا عقل، وركب الإنسان من كليهما، فإذا سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة، وإن سمت شهوته على عقله أصبح دون الحيوان .

بينما الإنسان الذي غزا الفضاء، وغاص في الأعماق، وحول القارات الخمس عن طريق الاتصالات إلى قرية، ثم إلى بيت، ثم إلى غرفة، ثم إلى سطح مكتب، الإنسان الذي صنع مدناً ومعامل ومطارات تمخر عباب المحيطات، وصنع طائرات أسرع من الصوت، وصنع قطارات تحملها وسائد هوائية، وصنع الحاسوب الذي يقرأ بلايين الحروف في الثانية، واخترع الإنترنت حيث أزلت السدود والحدود بين الشعوب والحضارات...

هذا الإنسان الذي أرسل الأقمار الصناعية، وصنع القنوات الفضائية، وصنع القنابل الذرية، والنووية، والحرارية، وصنع القنابل التي تعطل الاتصالات، والقنابل التي تعطل الطاقات، وصنع القنابل العنقودية، والانشطارية، والذكية، والخرابة الحارقة ... هذا الإنسان الذي صنع كل ذلك لا يستطيع أن

ينتبا بوقوع الزلزال ولا قبل ثانية واحدة إلا إذا تنبه إلى اختفاء الحيوانات، فلعلها ترشده من خلا ل
اختفائها إلى الخطر الداهم الذي سيدمره .
قال تعالى:

(ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض)

أيها الإخوة الأكارم، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صل، وسلم، وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين ولا يسعنا في هذا البلد الطيب إلا أن نتوجه إلى أسر الضحايا من كل الملل والنحل ومن دون تفريق ولاسيما سكان البلاد الأصليين بالتعازي الحارة سائلين الله جل وعلا أن يلهم من بقى من هذه الأسر الصبر والسلوان .

من الخطأ الكبير أن يتوهم الإنسان أن كل من أهلكه الله في هذا الزلزال مذنب يستحق الهلاك، هذا تعميم، والتعميم من العمى، فكل يموت على نيته، وعلى ما عاش عليه، يقول عليه الصلاة والسلام، فيما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن عائشة:
إن الله تعالى إذا أنزل سطواته (قهره وبطشه) على أهل نعمته، فوافت آجال قوم صالحين، فأهلكوا بهلاكهم، ثم يبعثون على نياتهم وأعمالهم .

فهذا المصاب الجلل الذي أصاب سكان السواحل في جنوبي شرقي آسيا، هو ابتلاء للمؤمنين، وما أكثرهم، قال تعالى:

(وَلَنَبْلُوَنَّهُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالتَّمَرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)

وهو عقاب للمذنبين، قال تعالى:

(وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذها أليم شديد)

[هود:102]

وهو تحذير وإنذار للناجين من غير المؤمنين، قال تعالى:
(وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارَعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ)

ولكن إنصافاً للحقيقة ينبغي أن نذكر أنه في أثناء طوفان الظلم والقتل اليومي للأبرياء أو اعتقالهم، وهدم المنازل، ونهب الأموال، هذا الظلم اليومي الحاد لم يشهد تاريخ البشرية له مثيلاً، في المناطق الساخنة من العالم، ولا سيما في العراق وفلسطين، جاء زلزال آسيا ليوقظ الشعور الإنساني لدى الأمم والشعوب، فبادرت إلى تقديم المساعدات العينية والمالية من كل حذب وصوب، وساهم بلدنا الطيب أيضاً في هذا العمل الإنساني، وأكدت هذه المساعدات أن الإنسان هو الإنسان، كما فطره الله، وأن الإنسان أخو الإنسان، وأن الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعيله .
مدخل أول لفهم هذا الحدث:

لو أن سائق سيارة، في أثناء قيادته لسيارته رأى تالِقَ ضوءٍ أحمرٍ في لحة البيانات التي أمامه، فالمشكلة ليست في تصديق التالِق، أو عدم تصديقه، لقد رأى تالِقَ هذا الضوء بأمِّ عَيْنِهِ، ولكن المشكلة في فهم هذا التالِق، وتحليله، والسلوك الذي يُبنى على هذا الفهم والتحليل، فلو فهم التالِقَ على أنه ضوءٌ تزينيٌّ، فتابع السير، فاحترق المحرِّكُ، وتكلفت لإصلاحه مبلغاً كبيراً، وتعطل السير وألغى الهدف، أما إذا فهم هذا التالِقَ على أنه ضوءٌ تحذيريٌّ، أوقف السيارة، وأضاف الزيت، وسلم المحرِّكُ من الاحتراق، وتابع بعد ذلك السير، وتحقق ال هدف، فالعبرة لا في التصديق وعدمه، بل في فهم الحدث وتحليله.

فإذا كان زلزال آسيا هو الضوء الأحمر، فالمشكلة ليست تصديق وقوعه أو عدم التصديق، فما من إنسان من ستة الآلاف مليون إلا وعلم بهذا الزلزال، وشاهد صورته المأساوية، ولكن المشكلة في فهمه في ضوء الإيمان بالله، وفي ضوء وحي السماء، لا من خلال العولمة والشرك، قال تعالى:

(وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ

يَسْتَبْشِرُونَ)

أي أنك إذا قدمت تحليلاً إيمانياً توحيدياً وفق كتاب الله وسنة رسوله، رفضه الذين لا يؤمنون بالآخرة، أما إذا قدمت تحليلاً أرضياً شركياً قبله معظم الناس .

مدخل آخر لفهم هذه الأحداث

يقول سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : ثلاثة أنا فيهن رجل (أي بطل)، وفيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس ؛ ما صليت صلاة فشغلت نفسي بغيرها حتى أقضيها، ولا سمعت حديثاً من

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا علمت أنه حق من الله تعالى، ولا سرت في جنازة فحدثت نفسي بغير ما أقول حتى أنصرف منها .

ولنأخذ الثالثة ولا سرت في جنازة فحدثت نفسي بغير ما تقول حتى أنصرف منها فإذا كان هذا الميت في النعش يقول بلغة الحال لا بلغة المقال، ويسمعه سيدنا سعد بأذن الحال، لا بأذن المقال ... فماذا يقول هذه الزلزال بلسان الحال لبني البشر ؟

ينادي هذا الزلزال أهل الأرض، فيقول:

إذا كان كل هذا الهول الذي وقع هو زلزال الدنيا، فماذا أعددتكم أيها البشر للنجاة من زلزال الآخرة ؟
ويذكرهم بقوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ، يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)

امرأة حملت رضيعها، وانطلقت من البيت مذعورة إلى الشارع، وفي الشارع نظرت إلى رضيعها، فإذا هو حذاء زوجها، تذهل كل مرضعة عما أرضعت .

وينادي هذا الزلزال المحبطين من المسلمين الذين استسلموا وخضعوا واستكانوا لقوى البغي والعدوان، ويسوا من رحمة الله، ظنوا أن الله تخلى عنهم، ولن ينصرهم، يذكرهم بقوله تعالى

(وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، إِنْ يَهْسِكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَّوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)
ويقول أيضاً:

(إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ)

وينادي هذا الزلزال الغافلين الذين غفلوا عن وعيد الله، وغفلوا عن الموت، وغفلوا عن الدار الآخرة، فأتاهم العذاب من حيث لم يحتسبوا، وقذف في قلوبهم الرعب، ويذكرهم بقوله تعالى:

(أَفَأَمَّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ)

[النحل:45]

يصف أحد السائحين الناجين غفلته فيقول : فجأة سمعت صوتاً خفيفاً، ثم فجأة ابتدأ الماء يتسرب من تحت باب الغرفة، وفي أقل من دقيقة وصل الماء إلى صدري، ثم غبت عن الوعي، وهكذا الساعة لا تأتيهم إلا بغتة

وينادي هذا الزلزال المتخاذلين عن الإصلاح الاجتماعي، وعن الدعوة إلى الخير ظناً منهم أن صلاحهم الفردي يعذرهم أمام الله، وينقذهم من العقوبات الدنيوية والأخروية، يذكرهم بقوله تعالى:

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ)

فالضمان أن نكون مصلحين لا أن نكون صالحين .

وينادي هذا الزلزال المتحررين الذين شوها معنى الحرية، وظنوها تفلتاً من كل قيد أخلاقي، ومن كل قيد ديني شرعي، ومن كل قيد اجتماعي، فيؤكد لهم أن الفساد يغرق سفينة المجتمع، ويهدد أمن الجميع، فالعذاب إذا نزل لا يستثنى، ويذكرهم بقوله تعالى:

(وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

وينادي هذا الزلزال المترفين الذين كان الناس لهم تبعاً أمروا أن يستقيموا ففسقوا، فدمرهم الله ودمر من أعانهم على فسادهم وإفسادهم من التابعين لهم، ويذكرهم بقوله تعالى:

(وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا، وَكَمْ أَهْلَكْنَا

مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا)

وينادي هذا الزلزال الدول التي لم تبعاً بشرائع السماء والتي توهمت أن السياحة الجنسية أقصر طريق لجني الأرباح، وتكديس الثروات، حيث افتخر أحد المسؤولين عن السياحة في تلك البلاد قبل أيام من الزلزال بأنه لا يوجد في بلده فتاة عذراء واحدة، ويذكرهم بقوله تعالى:

(وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتُّعُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

والحمد لله رب العالمين